

_المحاضرة الثامنة:

النقد التاريخي Historical criticism

● الهدف من المحاضرة :

- _ أن يفهم الطالب معنى المنهج لغة و اصطلاحا
- _ أن يتعرف على النقد التاريخي (النشأة ، التطور، الأسس).
- _ أن يتعرف على طريقة تلقيه من العرب.



● القراءات المساعدة :

● _ المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي

_ منهج البحث الأدبي: الطاهر جواد

_ في آليات النقد الأدبي: عبد السلام المسدي

_ مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي

● أسئلة الفهم :

- _ ما المقصود بالمنهج ما علاقته بالنقد التاريخي ؟
- _ ماهي ظروف نشأته ؟
- _ ماهي أسباب تطوره عند الغرب ؟
- _ ما هي أهم المبادئ التي يقوم عليها؟ كيف تلقاه النقاد العرب ؟



● تمهيد:

كل هذه الأسئلة تجيب عن مرحلة أولية بدائية انتقالية للنقد الذي صار الأدب من خلاله عينة يمكن إدخالها حقل العلوم التجريبية و تطبيق خطوات البحث العلمي عليها ، فالعصر الحديث يعد فتحا جديدا ، على إثره تم الطعن في كثير من المعتقدات التي كانت سائدة، و أهمها تلك المتعلقة بخرافة التفكير وسذاجته و تمركه حول الميتافيزيقا ، فعمل المفكرين على بعث و احياء أفكار فلاسفة اليونان من أجل سبل أكثر قابلية للتصديق لاعتمادها على عالم الحس ، والواقع .

1_ بوابة العصر الجديد:

بالنسبة لإحياء عالم الحس /الواقع كان أكثر ارتباطا وتعلقا بأرسطو، لأن سبل البحث عند أفلاطون تركز على العالم المثالي، و رغم ذلك تنسب سبل التفكير لكليهما لاهتمامهما بالعقل المنظم، و هو أحد أهم المحاور التي تحدث عنها أستاذهم سقراط. فكان العلم التجريبي هو أكبر ما حققته هذه المدونات من فضل على البشرية كلها منهم، (فرانسيس بيكون Francis Bacon) و (غاليلو Galileo) و (جون لوك locke John) و (دفيد هيوم David Hume) ، هؤلاء كانوا بوابة العصر الجديد بما دحضوه من أفكار (أسطورية / دينية) من جهة، ومن جهة أخرى بما أحدثوه من جديد، إذ صار لكل ما في العالم تفسير وتعليل وتقدير زمني ومكاني.

فجاءت بحوث العصر الحديث لتثبت سيادة الإنسان ومركزية عقله (logos) وهو تطور لفكرة العقل المنظم ، التي عملت على إحداث التغيير، تغيير طال فكرة الذوق و تذوق الأعمال الأدبية الذي كان أساس الحكم على جودة أو رداءة العمل الأدبي وهو ما أرشد العالم إلى طريق المنهج سبيلا في الدراسة.

مما أدى إلى التخلص من التقييم العفوي للأدب إلى حقل العلوم التجريبية.

2_ المنهج: لغة و اصطلاحا

جاء في معجم لسان العرب في مادة [ن ، ه ، ج] : (المنهاج : الطريق الواضح . واستنهج الطريق : صار نهجا . و في حديث العباس : لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ترككم على طريق ناهجة أي واضحة بينة .. و فلان يستنهج سبيل

فلان أي يسلك نهجه . و النهج الطريق المستقي⁽¹⁾، وجاء في المعجم المفصل في الأدب قوله في حدود المنهج في ما يلي: " المنهج :لغة، الطريق، و في علم التربية، السبيل التي يسلكها المربي لبلوغ الأهداف التربوية عن طريق التدريس و ضروب النشاط عامة، بما يلائم البيئة و الثقافة....⁽²⁾ ، و خلاصة ذلك أن المنهج في اللغة العربية هو الخطة أو الطريق.

ب_ المنهج اصطلاحاً :

تعددت تعريفات المنهج في أدبيات البحث العلمي واختلفت وجهات نظر الباحثين نحوها، ومن هذه التعاريف نختار منهج البحث الأدبي الذي يعرف بـ " : الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب منذ العزم على الدراسة و تحديد الموضوع حتى تقديمه للمشرفين أو النقاد أو القراء⁽³⁾ ، كما يعرف ايضاً بأنه : " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين وتعليمهم إيّاها حين نكون بها عارفين"⁽⁴⁾ في حين حدده أصحاب منطق (بور رويال) المنهج تحديداً دقيقاً , وجعلوه القسم الرابع من علم المنطق .عرفوه بأنه : "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من اجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها ، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين لما نكون عارفين بها. أصبح منهج الوسيلة المؤدية إلى الهدف المطلوب، والتي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة كشفاً عن الحقيقة بوساطة طائفة من القواعد العامة، تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة⁽⁵⁾، فالأصل في المنهج اعتماده على القواعد و

¹ _ ابن منظور : لسان العرب : بيروت , دار احياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . ط (3) 1999 . باب النون : مادة نهج : الجزء : 14 . ص : 300.

² _ محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب، (م س)، ص 831

³ _ الطاهر جواد : منهج البحث الأدبي. بغداد . مطبعة العاني . ط1، (1970) ص ص : 21 . 22

⁴ _ ينظر بحث : سعيد بن علي بن ثابت : مناهج البحث في أقسام الإعلام بالملكة العربية السعودية

⁵ _ بدوي محمد : المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية . تونس . مدينة سوسة . دار الطباعة للمعارف والنشر . ص : 6.

القوانين المنظمة والمتناسقة التي يعتمد عليها الباحث من أجل تحقيق شروط العلمية في الوصول إلى النتيجة، و له السبيل الآني و الآخر التطوري الذي يعمل على تقصي ، الظاهرة زمنيا ، و يذكر صاحب معجم الفلسفة حول المنهج ما يلي "منهج (method(e) بوجه عام، وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة، و المنهج العلمي (méthode scientifique) له خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، الذي يقصد به: "... الخطة العلمية التي يصفها الباحث، أو تضعها المؤسسة، لدارس موضوع أو قضية، و يتطلب نقاط منظمة و منسقة، تكون و يقصد به دراسة مختلف الظواهر النسق الذي ينتهج، و ينقسم إلى قسمين: المنهج التزامني (synchronique) ويطلق عليه الوصفي (descriptif)، والمنهج التطوري (diachronique) ويقصد به دراسة مختلف الظواهر في مدة زمنية محددة ويقصد به البحث في الظواهر بحسب التطور الزمني المتعاقب، و لذا يقرن به مصطلح آخر هو التاريخي " (6) فما هو المنهج التاريخي؟

3_ المنهج التاريخي:



القول بالمنهج التاريخي هو بدايات للتفسير العلمي للأعمال الأدبية ودراساتها دراسة تعيد استثمار وسائل الاستقراء والاستدلال. كما هي عند (أفلاطون Platon) و (أرسطو Aristote)، فالنقد التاريخي بهذا الوصف منهج حديث بعد استثمار آخر ما وصلت إليه الفلسفة التجريبية "...لأننا نعلم أن النقد ظل قرونا طويلة حكما (تقويميا، تقديريا) وظل قرونا طويلة - كذلك - قائما على قواعد (أرسطو) في معياريته

⁶ _ محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب ، (م س) ، ص 831

وهو لا ينظر - على أي حال - في النص نفسه و في العوامل المؤثرة في النص و في صلة النص بظروفه و زمانه، و إذا ورد شيء عن عصر أو أديب فإنه يرد عرضاً متقطعاً و يعود الاهتمام بتاريخية الأدب هذه إلى القرن الثامن عشر - عصر التنوير - وما صحبه من فكر و فلسفة و ربط الظواهر بمسبباتها بعيداً عن التجرد أو العزل، و قد جرى . ذلك في كل مكان في أوروبا، وأمر فرنسا مشهور ولألمانيا مكان خاص من التاريخية⁽⁷⁾، فقد عرفت تطوراً بتطور البحوث العلمية فيما بعد ؛ إذ يتكأ النقد التاريخي " على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية : فالنص ثمرة صاحبه ، والأديب صورة لثقافته ، والثقافة افراز للبيئة ، والبيئة جزء من التاريخ فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"⁽⁸⁾ وهذا يعني أن هذا المنهج يهتم بالعلاقات الخارجية للأعمال الأدبية، ومحيطه وبيئته الخارجية، وهي عناصر من خلالها يتم تفسير هذه الأعمال مجتمعة .وهو بذلك يصنف ضمن المناهج السياقية التي تدعو إلى الخروج عن السبل الذوقية القاصرة و العاجزة و البعيدة عن النص الأدبي في ذاته، إلى دراسة كلية تتولى مهمة تتبع الظاهرة عن طريق الاستقراء و الاستدلال الذي تكون وسيلته العلمية، وعلى الناقد أن يحدد علاقته بالتاريخ فهو وسيلة وليس غاية به يتم من تفسير النص الأدبي بما يشير إليه من عواطف و مشاعر و خيال ليتشكل العمل الأدبي بوصفه نصاً مختلفاً عن نص الواقع ، .. فصميم عمله النص الأدبي بما فيه من حياة العواطف والأخيلة، و هو يستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الأدبي..."⁽⁹⁾ وكان الفضل في هذا التطور يعود إلى كثير من رواده.

4- رواد النقد التاريخي الغربي:

لعل من أشهر النقاد الذين ظهر لديهم التوجه العلمي التجريبي في منهج دراستهم للأدب هو (أرنست دانيال : 1823 _ 1892) وكذلك (سانت بييف : 1804 _ 1869) و(تين : 1828 _ 1893) و (برونتيير : 1849 - 1906) ، ولقد مضى هؤلاء النقاد ينكرون التدوق الأدبي والشخصي و كل ما يتصل بالذوق وأحكامه في مجال دراسة

⁷ _ علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر - بيروت - ط 1971 ، ص

⁸ _ عبد السلام المسدي : في آليات النقد الأدبي ، دار الجنوب تونس، 1994. ص 88

⁹ _ علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، ص 398

الأدب، وأخذوا يضعون قوانين ثابتة للأدب ثبات قوانين العلوم الطبيعية، قوانين تطبق على كل الأدباء كما تطبق قوانين الطبيعة على كل العناصر⁽¹⁰⁾، ف(سانت بيف) إلى جانب محيط العمل الإبداعي يغوص في روح المؤلف من أجل استجلاء الدلالات، سبيله في ذلك المنهج العلمي، عن طريق دراسة الأدب دراسة تفصيلية في علاقته ببيئته وثقافتهم وأمزجتهم وتربيتهم. أما هي (هيبوليت تين H.TAIN) (1828_1893)، فيلسوف ومؤرخ فرنسي، فقد جاء بثلاثيته الشهيرة (الجنس البيئة و الزمن)، وهذه تفاصيلها:

أ_ العرق أو الجنس (RACE) بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

ب_ البيئة أو المكان أو الوسط (MILIEU)؛ بمعنى الفضاء الجغرافي و انعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

ج_ الزمان أو العصر (TEMPS)؛ أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.⁽¹¹⁾ عرف هذا المنهج تطور كبيرا بعد ذلك .

فقد ساهم فيه ثلة من النقاد، والأمر متعلق "بداية الأمر ب(ش ، أ، سانت بيف charle augustin saint beuve) (1804_1869) الناقد الفرنسي أستاذ (ه ، تين) الذي ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا إيمانا منه بأنه " (كما تكون الشجرة يكون ثمرها) (وأن النص تعبير عن مزاج فردي) لذلك كان ولوعا بالتقصي لحياة الكاتب الشخصية والعائلية ومعرفة أصدقائه وأعدائه وحالاته المادية والعقلية والأخلاقية وعاداته وأذواقه وأرائه الشخصية، وكل ما يصب فيما كان يسميه (وعاء الكاتب)...⁽¹²⁾ ، كما كان له حضور في كتابة السيرة النقدية، " واشتهرت و في منتصف القرن الماضي بدأ سانت بيف بنشر أحاديث أوروبا بالسيرة النقدية (biographie) " ⁽¹³⁾ ؛ فهذا

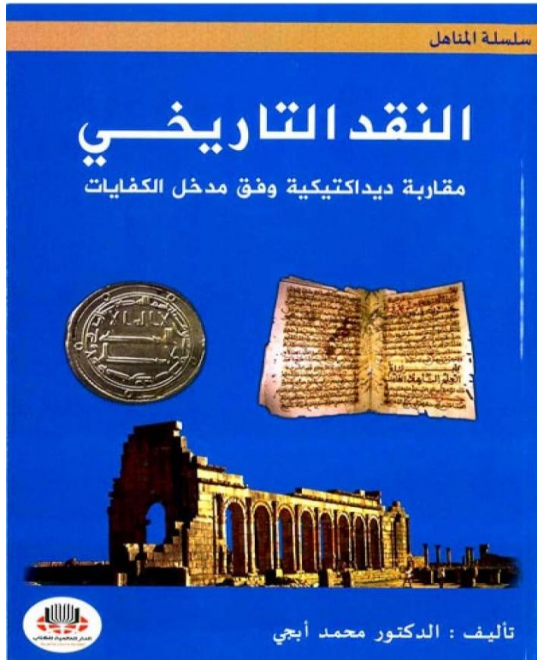
¹⁰ _ ينظر: محسن الكندي: (كاتب من سلطنة عمان)، قراءة تحليلية لمرجعيات منهج النقد التاريخي،

مجلة نزوى العدد 86 ، ص ص 1-2

¹¹ _ يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط 2007، 1، ص 16

¹² _ المرجع نفسه ، ص 17

¹³ _ حسين الحاج حسن: النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص 65



المنهج يؤمن بأنه لا حديث عن شيء دون الاطلاع على ظروفه وأسبابه ف "التاريخ يصنع من وثائق، والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف و أفعالهم، والقليل جدا من هذه الأفعال والأفكار هو الذي يترك آثارا محسوسة، إن وجدت فنادرا ما تبقى، لأن عارضا بسيط قد يكفي لزوالها، و كل فكرة أو فعل لا يخلف أثرا، مباشرة أو غير مباشر، أو طمست معالمه هو أمر ضاع على التاريخ، كأن لم يكن البتة، و

بفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الإنسانية مجهولا أبدا، إذ لا بديل عن الوثائق، حيث لا وثائق فلا تاريخ"⁽¹⁴⁾، بالإضافة الى وجود أحد أعمدة هذا المنهج وهو (فرديناند برونثير (FREDINAND BRUNETIERE (1849_1906) وهو أكثر النقاد الذين تأثروا بالفلسفة الوضعية لقد تعصب للعلم تعصبا شديدا ، واعجب بنظرية داروين ، وعمل على تطبيقها في الدراسات الأدبية...محاولة نقلها حيز التنفيذ في المجال الأدبي..."⁽¹⁵⁾، لنعرج أيضا على أحد أعلام المنهج التاريخي وهو " (غستاف لانسون (GUSTAVE LONSON (1857_1934) ويعد هذا الأكاديمي الفرنسي الكبير الرائد الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه (اللانسونية (LONSONNISME)، وقد أعلن (لانسون) عن هويته المنهجية سنة 1909، في محاضرة بجامعة بروكسل حول (الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب)، ثم اتبعها سنة 1910، بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) التي نشرها في مجلة الشهر (REVUE DU MOI) وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي ، حتى غدت تلك المقالة (قانون اللانسونية

¹⁴ _ لانجلو اوسينوبوس و بول ماس و امانويل كانت :النقد التاريخي، ترجمة:عبد الرحمن بدوي، وكالة

مطبوعات الكويت -ط4، 1981، ص5

¹⁵ _ على جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ص413

ودستورها المتبع) على حد تعبير احد الدارسين⁽¹⁶⁾ ، ووفق هذا المنهج توصل (لانسون
(إلى صياغة ستة قوانين تحكم الدراسة النقدية:

_ قانون تلاحم الأدب بالحياة ؛ وقانون التأثيرات الأجنبية؛ قانون تشكل الأنواع الأدبية
، وقانون تلاحم الأشكال؛ وقانون الأعمال الخالدة ، وقانون أثر المؤلف في الجمهور.
بعد أن وجدت هذه القوانين صداها فأمن بها كثير من النقاد إيماناً مطلقاً. و كان
الفرنسي (ريمون بيكار Rymond Picard) ، قد أكمل مسيرة هذا المنهج، بعد (لانسون
(فتحمل في سبيله الكثير من العناء، "ليدخل هذا النشاط اللانسوني مرحلة الذبول
ثم النهاية " .. في معارك نقدية ضاربة مع عميد النقد الفرنسي الجديد (رولان بارث
(R . BARTHES) (1980_1915) ، انتهت بالإطاحة بهذا المنهج التاريخي.⁽¹⁷⁾ ؛ ليعرف
الانهزام أخيراً أمام فارس النقد البنيوي (رولان بارث R . Barthes)؛ الذي قوّض
المنهج التاريخي في الدراسات النقدية وأحل محله المنهج البنيوي الذي يختلف في
طبيعته (الأبستمولوجيا) عن المنهج التاريخي وعن مجمل المناهج السياقية. كانت هذه
أهم بدايات ونهايات المنهج التاريخي الغربي ، فكيف تلقاه العالم العربي

5_ النقد التاريخي عند العرب :

انتقل هذا المنهج إلى العالم العربي عن طريق الترجمة و التواصل والبعثات ،
خاصة عند طه حسين الذي نبغ فيه تأثيرا ب : (سانت بيغ) و (تين) ، وهذا ما أدى
إلى ارتباط النقد التاريخي في العالم العربي ب(طه حسين) في العالم العربي ، إذ يقول
في مقدمة كتابه (تجديد ذكرى أبي العلاء المعري) " (ولقد أعلم أن ناساً قرأوا هذا الكتاب
فدفعوا أو اندفعوا إلى نقده بعلم أو بغير علم، مخلصين و غير مخلصين، و لقد كنت
أود لو وجدت فيما كتبوا شيئاً يستحق أن يسطر أو يناقش، و لكنني آسف الأسف كله
لأنني لم أجد فيما كتبوه إلا شتما وسبا، و إلا طرقاً في الفهم معوجة، و مناهج في التفكير
عتيقة.....⁽¹⁸⁾ وما أخبرنا به طه حسين عن الأدب الجاهلي، إلا تأكيد على ارتباطه بهذا

¹⁶ _ عبد المجيد حنون ، اللانسونية و أبرز اعلامها في الأدب العربي الحديث، مخطوط دكتوراه دولة،
معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر 1991، ص 72 ، نقلا عن يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي

، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط 2007، 1، ص 18

¹⁷ _ يوسف و غليسي، مناهج النقد الأدبي ، (م س)، ص 18

¹⁸ _ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف - القاهرة - ط 6 ، 1963 ، ص 4

المنهج وتأثره برواده الغربيين خاصة (تين) إذ يقول : بأنه لن يدرس حياة أبي العلاء وحدها ، وإنما يريد أن يدرس أيضا، حياة النفس الإسلامية في عصره، ذلك أنه يعتقد أن حكيم المعرفة و ما له من آثار ما هو إلا محصلة .لعصر كابد أحداثه وأحواله و ارتوى من معارفه وآدابه وعارك طوائفه ورجالاته" (19) ، ويؤكد طه حسين دوما ارتباط الأعمال الأدبية بأسبابها وعللها، للوصول إلى نتائج موضوعية ؛ فكل الأحداث ناقصة ما لم ترتبط بأسبابها و في ذلك تحقيق لأبعاد الموضوعية والعلمية في الدراسة. إذ يقول "إنما الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية، والخطبة يجيدها الخطيب، والرسالة ينمقها الكاتب الأديب، كل أولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية، يخضع للبحث والتحليل، خضوع المادة لعمل الكيمياء" (20). هكذا يكون المنهج التاريخي قد دخل إلى العالم العربي من بابه الواسع .

_ خلاصة القول :

نجد أن النقد التاريخي قد استثمر نظريات (أرسطو) في الاستقراء والاستدلال ثم ارتبط في العصر الحديث بالفلسفة العلمية التجريبية ؛ تتعلق الأولى بالمنهج الوصفي والثاني بالمنهج التاريخي. فظهرت بداياته الأولى في مجال النقد لكل من (سانت بيغ) و(تين) و(برونتيير Brundtaar) .. ؛ عملوا على إدخال العلم التجريبي في مجال النقد للوصول إلى تفسير الأدب بسياقه الخارجي. أما في العالم العربي فقد تمثل فيما قدمه طه حسين في دراساته التاريخية (تجديد ذكرى أبي العلاء المعري) و(في الأدب الجاهلي)، فصار الأدب رؤيا شاملة لحياة و أخلاق و طبائع و أمزجة شعوب بأكملها . إلا أن ما يؤخذ على المنهج التاريخي ،هو نظرتة إلى الأعمال الأدبية على انها وثائق ومستندات.

¹⁹ _ محمد شنوفي : تطور النقد المنهجي عند طه حسين ، أطروحة دكتوراه -جامعة الجزائر، تخصص نقد

أدبي حديث، 2005، 2006. ص88

²⁰ _ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، (م س)، ص 19

● نصوص و تطبيقات:

_ يقول طه حسين (21)

"... أول شيء أفجؤك به في هذا الحديث هو أنني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك، أو قل ألح علي الشك، فأخذت أبحث أفكر وأقرأ وأتدبر، حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء إلا يكن يقينا فهو قريب من اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين و ميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا و لا يدل على أي شيء، و لا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا الشعر الجاهلي، وأنا أقدر النتائج الخطرة لهذه النتيجة ولكني مع ذلك لا أتردد في إثباتها وإداعتها، و لا أضعف عن أن أعلن إليك وإلى غيرك من القراء، أن ما تقرأه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنتره ليس من هؤلاء الناس في شيء، و إنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين".

✓ ناقش الاتجاه والمنهج الذي سلكه طه حسين في قراءة النصوص الجاهلية.

